

الفصل الرابع

المدرسة والمجتمع

لم يقتصر أمر المدرسة على امداد المدارس الحكومية وغيرها بما تحتاج اليه من مدرسين متخصصين في الآداب والعلوم والرياضيات فحسب بل كانت مركزا للبحث العلمى اخص بمسائل التربية والتعليم (١) ، وطرق تطويرها وملاحتها لكل جديد ، والخروج بها من القوالب الجامدة الى تطبيق الخبرات المتطورة التى وصلت اليها دول العالم المختلفة .

يضاف الى ذلك قيام خريجها بفضل ثقافتهم المتنوعة بالمشاركة في كل محاولة تهدف الى اصلاح الوطن وتقدمه ولاء ما كان ينقصه من كوادر فاسهموا في امقامة اركان النهضة العلمية الوليدة في مصر ، ونهضوا ببعض التبعات نهوض المستنير الذى يحسن تقدير الأمور فكانت المدرسة وبحق قبلة الأنظار . وقد وصفها على باشا ابراهيم ناظر المعارف وقت تأسيسها بأنها « من اعظم احتياجات الاهالى لتسهيل انتشار المعارف بينهم ، وأن هدفها الأول هو صناعة المعلم » .

كما ذكر المؤرخ شفيق غريبال أن أسباب اختياره للدراسة بها يرجع الى « انها المعهد الذى يصله بالدراسات الانسانية » .

وفيما يلى نعرض لدور المدرسة في خدمة المجتمع من النواحي العلمية والثقافية وفي الحركة الوطنية .

أولا : دور المدرسة العلمى والثقافى :

كلت المدرسة لطلابها صورة مميزة ومختلفة تماما عن الصورة الأزهرية التى كانت تحتل مكانا أساسيا في مناهج التعليم في مصر في ذلك

(١) صحيفة التربية : العدد الأول ، نوفمبر ١٩٦٨ ص ٢٩ .

الوقت ، وأعدت للمجتمع الكوادر اللازمة لشغل الوظائف القيادية ، وإصلاح أحوال التعليم والمشاركة في التوسعات التي طرأت عليه فحين فكرت الحكومة في إنشاء مدرسة للتجارة العليا وجدت من خريجها من يصلحون لتولى أمور التدريس بها (٢) .

وعندما تأسست الجامعة المصرية كان من خريجي هذه المدرسة من استطاعوا مع خريجي دار العلوم تولى حركة التدريس فيها بل أن من خريجي المعلمين العليا من استطاعوا بفضل ما هياتهم به تلك المدرسة أن يحتفظوا بمنصب الاستاذية في الجامعة ويكفي أن نذكر أن من هؤلاء بعض المؤرخين أمثال محمد شفيق غريال ومحمد فؤاد شكرى ، وعبد الحميد العبادي وبعض الجغرافيين أمثال محمد عوض محمد ، ومصطفى عامر .

والى جانب ذلك فإن المدرسة قد خرجت للمجتمع من العلماء والنبهاء من ساعده على التطور ، وكانت لهم إسهاماتهم الواضحة فيه ومن هؤلاء نذكر العالم الكيميائي الدكتور أحمد زكي الذي حصل على شهادة المعلمين العليا في عام ١٩١٤ وأكمل دراسته العليا ببريطانيا وبعد عودته إلى مصر عين بالجامعة ثم تدرج في مناصب عدة كان أبرزها تمييزه مديرا للمركز القومي للبحوث ثم وزيرا للشئون الاجتماعية ثم مديرا لجامعة القاهرة في عام ٥٢ — ١٩٥٤ وعضوا بمجمع اللغة العربية ، والى جانب ذلك فقد كانت له بحوثه العلمية المنشورة في المجلات المتخصصة ، كما كان لاسلوبه الأدبي في معالجة الموضوعات العلمية الفضل الكبير في أشاعة العلم بين المواطنين (٣) ، ونذكر الأديب الشهير محمد فريد أبو حديد الذي تخرج من مدرسة المعلمين العليا وتقلب في عدة وظائف هامة ، فكان وكبلا لدار الكتب المصرية ، وعميدا لمعهد التربية ، وهو أحد المؤسسين للجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩١٤ وقد اختاره مجمع اللغة

(٢) من أبرز الاساتذة الذين عملوا بهذه المدرسة الدكتور محمد عوض محمد .

(٣) د. محمد مهدي علام : مجمع اللغة العربية في ثلاثين عاما : المجمعيون ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٦ — ٣٧ .

العربية عضوا به في سنة ١٩٤٦ كما أسندت اليه رئاسة تحرير مجلة
التقانة .

وللاستاذ فريد نشاط كبير في الكتابة ، امد به المكتبة العربية بالعديد
من الكتب في القصة والتربية وفي التاريخ (٤) .

ونذكر المؤرخ عبد الحميد العبادي الذي تخرج من المدرسة في عام
١٩١٤ وكان عضوا مؤسسا بلجنة التأليف والترجمة والنشر ، وعضوا
مؤسسا بمجلس ادارة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ، كما ضمه
مجمع اللغة العربية الى أسرته في عام ١٩٥١ . وله العديد من المقالات
والبحوث التي نشرت له في الصحف والمجلات كما أن له عدة كتب بعضها
ترجمة وبعضها تأليف .

والاستاذ مصطفى عامر الذي تخرج من المدرسة في عام ١٩١٧ ،
وآتم دراسته في جامعة ليفربول حيث نال الماجستير في الجغرافيا عام
١٩٢٣ وبعد عودته الى مصر عين مدرسا بالمدرسة ثم نقل الى كلية
الاداب بالجامعة المصرية عند نشأتها في عام ١٩٢٥ ، وتدرج في سلك
التدريس الجامعي الى أن شغل كرسى الجغرافيا كما عين وكيلا لجامعة
ماروق (الاسكندرية) ثم وكيلا لجامعة مؤاد الأول (القاهرة) وتقلب بعد
ذلك في العديد من المناصب منها تعيينه مديرا لمصلحة الآثار في عام ١٩٥٣

ولم يقتصر دور الاستاذ مصطفى عامر العلمي داخل حدود وطنه بل
شارك في تأسيس جامعة الرياض التي تعد أول جامعة في المملكة العربية
السعودية .

ومن أبرز اهتماماته دراسة عصر ما قبل التاريخ بمصر أما عن مؤلفاته
فما برزها « مصر كما رآها أحد الرواد الأوروبيين في القرن الثامن عشر »
و « المقومات الجغرافية للعالم العربي » .

ونذكر الدكتور محمد عوض محمد الذي تخرج من المدرسة في عام
١٩٢٠ وارسل في بعثة دراسية الى انجلترا للتخصص في الجغرافيا وبعد

(٤) نفسه ص ١٨٨ .

عودته الى مصر تدرج في العديد من المناصب بالجامعة كان آخرها تعيينه مديرا لجامعة الاسكندرية ، ثم وزيرا للمعارف ومن ابرز مؤلفاته نهر النيل ، وسكان هذا الكوكب ، والسودان الشمالي ، والسودان ووادي النيل ، والاستعمار والمذاهب الاستعمارية والشعوب والسلالات الافريقية والعديد من المؤلفات الاخرى التى تجمع بين اللذة العائمية والادبية ، والى جانب ذلك فقد قام بترجمة بعض روائع الادب الالماني فهو الذى ترجم « فاوست » للشاعر الالماني جيته وترجم رواية « هرمان ودروتيه » لاشاعر جيته أيضا .

ونذكر الدكتور عباس عمار الذى تخرج من المدرسة فى عام ١٩٢٦ واختير مستشارا لوفد مصر فى أثناء عرض القضية الوطنية فى مجلس الامن سنة ١٩٤٧ ، وشغل منصب المدير العام لادارة الاوصايا فى هيئة الامم المتحدة سنة ١٩٤٨ وعين مديرا لمصلحة الفلاح ثم مديرا عاما للمركز الدولى للتربية الاساسية والى جانب ذلك عين نائبا لمدير منظمة العمل الدولية بجنيف (٥) .

ومما يجسب لهذه المدرسة انها شاركت بقسط وانر فى توجيه السياسة التعليمية للبلاد بما قدمته فى لجان وزارة المعارف من آراء ، وما اشترك فيه اساتذتها من تأليف كتب ومقررات لمدارسها ومنها قيام بعض هؤلاء الاساتذة بالمشاركة فى عقد المؤتمرات الخاصة بدراسة احوال التعليم (٦) .

والجدير بالذكر انه كان لهذه المدرسة فضل كبير فى تشجيع الازهرين على اعادة النظر فى مناهجهم بعد ان خشى القائمون على الازهر من تقاوس شأنه الثقافى بعد اصبحت وزارة المعارف تجد البدائل عنهم فى مدارسها

(٥) وزراء التعليم فى مصر ص ١٢٩ .

(٦) نذكر على سبيل المثال مشاركة محمد شفيق غربال ، واحمد فهمى العمروسى ، وحبيب جورجى ، ومحمد رفعت المدرسين بالمدرسة فى مؤتمر التعليم الاولى الاجبارى الذى عقد بالقاهرة فى يوليو ١٩٢٥ للتفاصيل انظر : احمد شفيق : اعمالى بعد مذكراتى ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٤١ ص ١٤١ — ١٤٧ .

فبدأوا في تعديل انظمتهم حتى تحولت مدارس الأزهر ومعاهده الى كليات جامعة كانت النواة التي نشأت عليها جامعة الأزهر بعد ذلك (٧) .

يضاف الى ذلك أن هذه المدرسة فتحت للمثقفين الوطنيين بابا للاستزادة من العلم والثقافة وترقية عقولهم ومداركهم عن طريق الانتساب اليها فانشأت قسما ليليا سمح فيه بالالتحاق لمن يرغب في الظفر بالشهادة التي تتيح له النهوض بالتعليم (٨) .

ثانيا : دور المدرسة في الحركة الوطنية ومواجهة الاحتلال :

على الرغم من العوائق التي تعرضت لها المدرسة في أعقاب انشائها نتيجة للأحداث السياسية والاجتماعية التي اجتاحت مصر في أعقاب قيام الثورة العربية والنتائج التي ترتبت عليها ، ومحنة الاحتلال وضغوطه من اجل نجلزة الادارة والدراسة بالمدرسة ، ومحاربهه للثقافتين الفرنسية والعربية معانقد واصلت المدرسة أداء رسالتها الوطنية ، وشارك طلابها وخريجوها في الحركة الوطنية بصرورة أو بأخرى احساسا منهم بواجبتهم نحو مشاركة ابناء وطنهم في امراحهم واتراحهم والامثلة على ذلك عديدة نذكر منها ما يلي :

١ — خروج طلاب المدرسة تاركين دروسهم في صبيحة يوم ١١ فبراير ١٩٠٨ للاشتراك في تشييع جنازة الزعيم مصطفى كامل حيث مشوا في مقدمة المشيعين رافعين علم مدرستهم المجلل بالسواد وقد وصف قاسم أمين مشهود الجنازة فاوضح أنه لم ير قلب مصر يخفق سوى مرتين الأولى يوم تنفيذ حكم دنشواى والثانية كانت يوم الاحتفال بجنازة مصطفى كامل (٩) .

(٧) الجدير بالذكر أن القانون رقم ٤٩ لعام ١٩٣٠ والخاص باعادة تنظيم الأزهر والمعاهد الدينية العلمية الاسلامية كان خطوة هامة في سبيل اصلاح الجامعة الأزهرية .

انظر : مضابط مجلس النواب ، محضر الجلسة الثالثة والاربعين في ١٠ أبريل ١٩٢٣ ص ٨٥٨ .

(٨) طه حسين : المرجع السابق ج ٢ ص ٣٤٥ .

(٩) الرفاعي : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، القاهرة ، النهضة المصرية ، الطبعة الرابعة ١٩٦٢ ص ٢٧٥ .

٢ — نتيجة لتولى السلطان حسين كامل عرش مصر بناء على طلب الانجليز ورغبتهم فقد كان موقف طلبه المدرسة منه يعبر عن تحديهم له ، ورفضهم زيارته لمدرستهم ، بتغيبهم عن الدراسة يوم زيارته للمدرسة ، مما دفع السلطان الى القول عنهم « بانهم تجاوزوا كل حد من الوقاحة وقلة الأدب » (١٠) .

٣ — اشتراك بعضهم في محاولة قتل السلطان حسين كامل ، وتأييد بعضهم الآخر لهذه المحاولة والتحدث فيما بينهم عن القائمين بها بوصفهم ابطالا وطنيين (١١) .

٤ — على الرغم من سياسة الضغط والارهاب التي مارسها سلطات الاحتلال ضد معارضيهما فقد اشتغل بعض طلاب المدرسة بالحركة الوطنية، مضحين بأرواحهم في سبيل الوطن مما جعل الحكومة تصفهم بانهم خطرون على الأمن العام وتقوم بمعاقبتهم بالفصل من المدرسة كما حدث مع الطالبين محمد صبرى منصور ، ومحمد عوض محمد اللذين قررت وزارة المعارف فصلهما من المدرسة وحرمانهما من الامتحانات العمومية بحجة اشتغالهما بالسياسة بطريقة يخشى منها على الأمن العام والى جانب ذلك فقد اعتقلت السلطات البريطانية الطالب محمد عوض محمد وهو في السنة النهائية بسبب نشاطه العدائى للاحتلال فنفته الى جزيرة مالطة (١٢) مما أدى الى تعطيله عن الدراسة حوالى اربع سنين ، فلم يحصل على دبلوم المعلمين الا فى عام ١٩٢٠ (١٣) كما اعتقلت الحكومة الطالب أحمد عبده الشرباصى (١٤) الذى اشترك فى مظاهرات ١٩١٩ وسجنته فى القلعة وأمرت بحرمته من الامتحان وفصله من المدرسة نهائيا مما دفعه الى الالتحاق بمدرسة الهندسة بعد ذلك وتخرجه مهندسا (١٥) .

- (١٠) مذكرات سعد زغاول ج ٥ ص ٦٩ .
(١١) El good . The Transit of Egypt, London 1928, P. 220.
(١٢) محمد سيد كيلانى : السلطان حسين كامل — صفحة مظلمة فى تاريخ مصر ، طرابلس ، دار الفرجانى ، د.ت ص ١٢٣ .
(١٣) مهدى علام : مرجع سابق ص ١٨٥ .
(١٤) التحق بالمدرسة فى عام ١٩١٨ .
(١٥) عين وزيراً للاشغال فى عهد الثورة ، كما عين وزيراً للوقاف .
انظر : المجمعيون ص ٣٨ .